مسرحية

الأمل المنشود

يوسف حسن حجازي

الأمل المنشود

شخصيات المسرحية:

عماد: أبو صابر.

درة: زوجة عماد.

صابر: ابن عماد.

مهند: أخو درة.

معلم وطلاب وممرضة وأطباء وشخصيات أخرى..

الفصل الأول

المشهد الأول

(صوت جلبة وإطلاق نار وصفارات اندلاع حرب)....

ينهض عماد من مقعده..

درة التاج / ما لك يا عماد تضطرب

كطير بفخ منتصب؟!!

عماد/ ألا تسمعين يا درة

نذير حرب مستعرة ؟!!

درة التاج/ وما لك وما لها، إن للحرب رجالها..

عماد/ وهل تريني ناقصًا لأقعد عن القتال؟

وما عذري حتى أتخلف عن الرجال؟!!

إن دفاعي عن الأمة شرف، ولا يكون الدفاع في مواطن الترف..

بل هناك حيث يبدو صدق المُدَّعي..

حيث يميز الله الأصيل من الدعي..

حيث ينتصر الصادقون إما بالتحرير أو النعي..

درة/ وولدك يا عماد.. وزوجك يا عماد..

عماد/ لا تقلقي سأعود بإذن الله..

أعدك بذلك.. سأعود..

(يتعانق الزوجان بحب يذكيه الدمع)..

درة/ إني أثق برجوعك.

عماد/ سأكون عند ثقتك..

درة/ سأهبك قلبي وأنت تقاتل..

عماد/ وقلبك أمانة سأحفظها،،

عليّ أن أنطلق،، وداعًا..

(يعانقها العناق الأخير ويقبل جبينها، ثم يسل يده من يديها بهدوء وينطلق)..

المشهد الثاني

(يدخل مهند أخو درة التاج لاهثًا، ودرة التاج تجلس أمام ولدها الصغير قلقة تنتظر عودة عماد)...

مهند/ لكِ التحية تحية المحب أختي درة،، السلام عليك..

درة/ وعليك السلام ... تحية يتضاعف فيها حب تحيتك..

يبدو أنك كنت تركض...

فلتترع سترتك ولتجلس، ولك في مترلي ارتياح..

ثم لتخبرني خبر الناس، ولتخفف عني وطء الالتماس..

مهند/ فلتسمعي كريمتي الفاضلة..

قد اشتدت المعركة فتصدى المقاتلون لتقدم الأقتال المقاتلة...

آه يا درة لو رأيتِ نزولهم لقلت لا ذلَّ بعد اليوم في نازلة..

فقد كانوا كالموج الذي ينقض على الغريق ليسلب آخر نفس في كيانه المتعب..

واستمر النزال، والنار تصلى بالنار.. إلى أن فنيت عدة الثوار، ولم يجدوا الذي وعدهم به العرب، وفي الوقت نفسه فُتحت خطوط الإمداد على جيش الأوغاد، فانقلبت الموازين، وخاب التخمين، فأخذ العدو يضرب رجالنا بالنار والبارود، وكرهًا انسحب منهم من أراد أن يناور ويعود، وقُتل من أبى رجوع القهقرى، وأسر من أحاط به الجنود...

درة (متلهفة): وعماد يا مهند، ما خبر عماد؟

يصمت مهند قليلًا ثم يمسك يد درة بلطف، ويتمتم:

أما عماد فكان معهم، ولا خبر عنه، إذ كانت الأمور تمور..

والمعلوم يبدو كالمجهول،

والمجهول يا درة لا يطول..

درة (باكية)/ ومتى يمكن أن نعلم هذا المجهول يا مهند متى؟!!

(يصرخ الرضيع باكيًا فتهبه درة من دفء حضنها ما يرضي إرادته)..

مهند/ معظم المقاتلين الذين هم في شجاعة عماد رفضوا الانسحاب وقتلوا أثناء تقدم قوات العدو...

درة مندهشة: أتقصد أنه قُتل؟!!

مهند: هذا ما كان يتمناه، أن يقتل شهيدًا بحق معناه..

وحبه الأهوج لك لم ينجح في طمس بواعث البطولة المدفونة داخله..

لأن الحب لا يمكن أن يهبَ الإنسان ما يهبه إياه الميدان..

درة (تنظر إلى السماء في صمت الخاشعين ثم تخاطب نفسها)/

قد وعدتني أن تعود،،

فلأجل حبنا الصادق لا بد أن تعود.. لا بد أن نلتقي مرة أخرى.. لا بد أن تعود..

الفصل الثاني

المشهد الأول

(يقف الأستاذ بين طلابه في بداية العام الدراسي يتعرف أسماءهم ويسأل عن أحوالهم).

المعلم: في بدء العام يجب التعارف، لذا على كل طالب أن يحدثنا عن نفسه..

طالب: اسمي براء، أسكن وسط المدينة، وأبي يعمل طبيبًا..

طالب آخر: اسمي خالد، وأبي يعمل مدرسًا..

طالب آخر: اسمي عزيز، وأبي يعمل نجارًا..

طالب آخر: اسمي معتصم، وأبي مهندس معماري..

المعلم: وأنت..

صابر حزينًا: أنا... أنا صابر، وأبي هو الذي لا أعرفه...

المعلم (مندهشًا): لا تعرفه!! كيف ذلك؟! هل هناك من لا يعرف أباه؟!!

صابر: أجل أيها الأستاذ..

فأبي الذي كان قبل أن أكون..

الذي كان قبل أن يتوارى خلف ستار ضحايا النزاع البغيض..

أبي الذي ترك الذي تراه وتسأله..

وترك التي ترعاه وتحضنه..

حتى يواجه من يقتله ويسحقه..

(يذرف صابر دموعه وتعم لحظة صمت في أجواء الفصل).

نعم يا أستاذ.. أبي الذي عاش الحب والإخلاص والسلام..

والذي قام يصد من جاء يقتل السلام..

أبي الذي قتله اليهود يا سيدي الأستاذ،،

قبل أن تشبع يداي من لمسه، وتقر عيني برؤيته..

(يخيم الصمت مرة أخرى ثم يقترب الأستاذ من صابر فيمسح رأسه بكفه)..

المعلم: لا بأس يا صابر...

الحياة كالبحر بين علو وسفول، بين صعود وهبوط..

فلا البؤس يدوم ولا السعد يبقى..

وإن قست عليك الأيام، فالقسوة تزيد الرجال صلابة..

صابر.. يا بني،، إن حرمتْك الحياة شيئًا فقد حبتك أشياء كثيرة..

وإن أرتك مأساة.. فقد أتاحت لك ألف ملهاة..

فلا تبتئس، فنحن جسد واحد،، ألم واحد،، قضية واحدة،، وطن واحد،، ودين واحد..

وتستطيع يا ولدي أن تعُدَّني أبًا.. أو أخًا..

وكفكف دموعك واعلُ الأوجاع..

واحتمل وخز الأشواك، فبعد الشوك تجد الوردةَ التي يتمناها من يخاف الشوك..

جميع الطلاب بصوت واحد: كلنا إخوة يا صابر... كلنا إخوة..

يلقي صابر جسده في حضن المعلم وهو يمسح دموعه بكفه...

المشهد الثاني

(يسير مهند وصابر في أحد الشوارع المطلة على أحد الأنهار)..

صابر: هل أدركت أبي يا خال؟

مهند: نعم... كنت هناك عندما أغار اليهود على المدينة.

صابر: أرجوك حدثني عما حدث، ولا تخفي عنى الأحوال..

مهند يضرب صابرًا على كتفه برفق: اسمع أيها الفتى..

سأخبرك بما حدث فقد تسمع ما لا تعلمه بعد..

إن أباك عمادًا كان حسن الخلق صادقًا لا يكذب أبدًا،،

وكان شجاعا لا يهاب..

صابر: شكرًا يا خال.

مهند: وكان يحب كل الناس، ويحسن إليهم حتى الذين كانوا يسيئون إليه، وإني أشهد بأنه صافي القلب يحيى بالخير وللخير..

(يهز صابر رأسه مبتسمًا)..

أما قصة استشهاده، فاسمع ما سأقول، قد كان اليهود ملة مرذولة في أوروبا لما يعرف عنهم من الخبث والإفساد لأجل مصالحهم القذرة، وهروبًا من ذلك الواقع البهيمي المفروض عليهم حاولوا جادين أن يتطفلوا على مكان يمكن أن يعيد لهم كيانهم، فطمعوا في أرض فلسطين معتمدين في ذلك على كتبهم المقدسة لديهم المحرفة، فوضعوا مخططاتهم وبدؤوا تنفيذها، وبدأت تجتمع عصابات صهيونية في عدة مدن فلسطينية، وشرعت بنشاطها الخبيث، فأخذت تساوم بعض

السماسرة الخونة، فاشترت منهم عددًا من الأراضي، وقامت عدة دول بعد ذلك بتسليح تلك العصابات للقضاء على شعب بلادك...

صابر/ ولماذا يا خال دعمت تلك الدول الصهاينة وهم عصابات إجرامية؟!!

مهند/ يا صابر أولئك لا يعرفون إلا الغدر والظلم، والعصابة الإجرامية لا يدعمها إلا مجرم، فالصهاينة عصابات لكنهم منظمون ومدعمون دوليًا، وأغرب ما في الدهر أن يصير الشاذ أصلًا..

صابر/ وما الدول التي رضيت بدعم الإجرام؟!

مهند/ من تلك الدول بريطانيا المسئول الأول عن دعمهم، وأمريكا كذلك...

صابر/ لكن يا خال كيف سمح العرب أن يحدث ذلك؟!!

مهند/ هل تسأل عن العرب أيها الفتى؟

إن الخير في العرب، لكن بعضهم انزلق في هاوية الخيانة، ظنًا منهم أنهم يفعلون الصحيح، فالشريف حسين أراد طرد الترك من بلاد العرب، فخان بذلك الخلافة الإسلامية طمعًا في حكم بلاد العرب الممتدة في آسيا وأفريقيا، وحجته أن الترك ظلمة فاستعان بالأظلم، في الحقيقة كان الأتراك قساة مع العرب خاصة في الفترة الأخيرة من حكمهم، لكن القسوة لا تبرر الخيانة، وكما تدين يا فتى تدان، فكان الأظلم غادرًا، فخان الخائن ولم يعطه شيئًا، بل نفاه وملَّك أبناءه الذين لا يحيدون عن أمر أعدائنا، حيث إنهم لم يحكموا إلا بعد إعطاء الولاء المطلق لبريطانيا وحلفائها..

صابر/ وهل أثَّر هذا على مواجهة العرب لليهود؟!

مهند/ طبعًا.. كيف تريد ممن يوالي بريطانيا ويخاف بطشها أن يصدَّ من تدعمه، وأن يواجه من تأتي به؟!!

فعندما بدأت العصابات بالهجوم المسلح على شعب بلادك المسالم الأعزل من السلاح انتفضت عدة جماعات صادقة للدفاع عنه، لكن الذين ملكتهم بريطانيا أوقفوا الدعم عن تلك الجماعات، وفي الوقت نفسه كان دعم بريطانيا لتلك العصابات متواصلًا، وبذلك خان الملوك العرب الذين لا حق لهم في الملك لأنهم تملَّكوا ديارًا ليست لهم أساسًا، إذ لو كانت بلاد العرب مِلك يمينهم لما عارضهم أحد في حق ملكهم، خانوا شعوبهم العربية وبلادهم الحرة لينالوا الملك الزائف الذي ألحقهم عار الخيانة في قبورهم على مر العصور،

ويحاول أحفادهم تبييض صفحاتهم لكن التاريخ يأبى، وليسوا يا بنيّ أقوى من التاريخ..

صابر/ لكن.. ألم يكن هناك علماء يزجرونهم؟ بل أين الشعوب؟ لماذا انساقوا خلف خيانة رؤسائهم؟

مهند/ أتقول علماء!! ما أضاع الدين إلا العلماء إلا من رحم الله منهم، إنهم يجيدون ليَّ النصوص لتوافق ما يريدون لا ما يريد الحق، وإرادتهم مُروَّضة، إن الحكام يسارعون إلى ترويض العلماء بخداعهم، ليكسبوا الطبقة العليا المميزة التي يقتدي بها من يطلب الحق، إنهم يمثلون الطلاب المتفوقين الذين تفوقوا في منهج دراسي مليء بالأخطاء، وعلى كل من يريد التفوق أن يقتفي آثارهم لا أن يجادل في أخطاء المنهج، إنها التبعية، أو فلتقل العمى العلمي، أما الشعوب فإنها تساق

لا تسوق للأسف، إنها كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة كما أخبر رسولنا الكريم إلا أن يطرأ عليها طارئ بأمر الله..

صابر/ أكاد لا أصدق أن العلماء بهذه الصورة..

مهند/ فعلا يا ولدي إنه لعجيب، إنهم يعملون بقصد أو بغير قصد بفكرة: (الدين أفيون الشعوب) التي يعشقها الحكام، إنهم يخدِّرون الناس باسم الدين، يريدون من الناس أن يكونوا أذلاء بحجة الصبر على الأذى، وأن يوضع السكين على رقابهم بحجة الطاعة لمن رأسه كالزبيبة، إنهم حفظوا النصوص ونزعوا منها روحها، فصار الواقع لا يقبل ما أرادوا، إنهم لم يحسنوا الإمساك بزمام الأمر، فالمشكلة ليست في الدين والقيم إنما المشكلة في طريقة العرض، هذه الطريقة التي

جرَّأت الأعداء لينالوا من ديننا، وأفقدت الأبناء الثقة في أفكارنا..

صابر/ عجبًا لهذا؟!! يا لعار الشريف بل الوضيع، ولعار العرب!! وكيف تقول: إن الخير موجود في العرب، أين الخير في مثل أولئك؟!

مهند/ نعم يا فتى، فالسلوك الشاذ ليس أصلًا، وأنت لست سلوكك، أنت الخير وإنما الشر هو غياب الخير منك، فإنك لا تكون بخيلًا إلا إذا امتنعت عن الإكرام، وإن كان الأصل في الأرض الظلام إلا أن الظلام ليس شرًا، لأن النهار ينسلخ منه فيتم الإبصار، وذلك عندما تؤثر طاقة الضوء في المادة المظلمة في الكون، والعرب ليسوا سيئين إنما البعض منهم طمع في الحكم فهان عليه أن يخون في سبيل ذلك..

إن الرسول يا بني عربي، وقد اختاره الله عربيًا لأن العرب أبسط بني البشر، لا يتكبرون على الآخرين، بل إنهم يتقبلونهم على الرغم من عدم تقبل الآخرين لهم، وهم بذلك أحق بالإصلاح من تكبر الفرس وغرور الروم وجحود اليهود، إذ كيف يكون الرسول المبعوث للناس كافة لا يتقبل قومه جنسًا ما من البشر؟ فالعرب فيهم الخير لبساطتهم وتواضعهم وصفاء قلوبهم..

صابر/ قد لا أفهم كل كلامك.. لكنه جميل، لكنْ يا خال قد يكون تعامل الشريف حسين مع الأعداء بسبب ظلم الترك وحبًّا في سيادة العرب..

مهند/ أيًّا كان السبب فإننا لا نستطيع أن نبرر الخيانة..

لا يمكن أن نبرر الأخطاء بحسن النية أيها الفتى، يجب أن نسمي الأشياء بأسمائها، فالبشر يحكمون بالظاهر، والسرائر لله، فمن بدت خيانته وصفناه بالخائن، فإن لم يكن يقصد الخيانة فإن الله جل وعلا لا يعاقبه على ما لم يقصد، لكننا نعاقبه لأن السرائر احتجبت عنا، ولو أخذنا بالسرائر لأعطينا المجرم الحقيقي حجة لارتكاب جريمته..

صابر/ فهمت عليك، فالذي يخون يوصف بالخيانة حتى إن لم يقصد أن يخون..

مهند/ تمامًا أيها الفتى...

صابر/ لكنْ، أكملْ لي خبر أبي..

مهند/ لك ذلك..

فعندما تقدمت عصابات اليهود إلى المدينة علت صيحات النفير، وكان عهدك بالحياة لا يجاوز الأسبوعين، ولأن أباك شهم شجاع حمل عدة الحرب وتركك تصرخ وأمك تبكي ووعدها أن يعود إليها وانطلق إلى ميدان القتال..

صابر/ وهناك قُتل..

مهند/ بعد يومين من القتال فنيت ذخيرة المجاهدين وبدأت العصابات تتقدم فأخذ المجاهدون يناورون بما استطاعوا، فمنهم من انسحب ومنهم من قتل ومنهم من أسر..

ولعل أباك كان من القتلى لأنه لا يترك ساحة القتال أبدًا..

صابر/ وهل رأيت جسده بعد مقتله..

مهند/ لا.. لأن العصابات مثَّلت بالجثث فلم نتعرف على هوياتهم... لكنَّ أمك تعرفت عليه من ثيابه، رحم الله روحه فقد كان شجاعًا...

صابر/ ألم تقل يا خال إن أبي صادق لا يكذب أبدًا؟

مهند/ بلى.. هو كذلك..

صابر/ وألم تقل لي إنه وعد أمي بأن يعود؟

مهند/ بلى.. قد قلتُ..

صابر/ إذًا هل تتوقع أن يترك الوفاء بوعده؟!!

مهند/ وماذا تقصد؟!!

صابر/ أقصد أنه من الممكن أن يكون حيًّا، ألستُ محقًا يا خال؟!!

مهند/ ذلك ممكن.. لكنه لو كان حيًّا لعاد إلينا..

صابر/ لعله ظن أن اليهود أعدموا أهل القرية وأنا قتلنا فيمن قُتل..

مهند/ قد تكون محقًّا، لكن..

صابر (مبتسمًا)**/ إذًا سأبحث عن أبي...**

المشهد الثالث

(يجلس صابر ومهند على ضفة النهر، يحدق صابر في الماء بينما مهند يداعب الرمال)..

مهند/ إن أمك مريضة، وبرها يا فتى فريضة..

صابر/ إني أحبها كثيرًا، ولا يمكن أن أتركها وحدها في مرضها، وكم أتمنى أن أجد أبي ليخفف وجع قلبي وألم جسدها..

مهند/ ألا زلت تصر على البحث عن والدك؟!

صابر/ وبكل قوة..

مهند/ لكنك قضيت زمنًا باحثًا خائبًا..

صابر/ لست خائبًا يا خال، لا زال الأمل يحييني..

مهند/ وهل أوصلك الأمل إلى شيء..

صابر/ في الحقيقة.. لا،، وكدتُ أيأس، إذ لم أترك صديقًا لوالدي أو رجلًا ممن علمت أنه قاتل في تلك المعركة إلا وسألته لكن لا خبر..

لكن لا...

لا، لن أجعل اليأس يهزمني..

مهند/ ثق تمامًا يا صابر أنك لا تستطيع أن تجده..

أبوك صار ماضيًا..

وأنت حاضر..

وستكون مثله في المستقبل.. فانس الماضي، ولا تبك على التاريخ..

حتى لو وجدت أباك فماذا سيصنع لك؟

صابر/ يكفي أن يضمني بين ذراعيه.. تكفي منه نفحة حنان تنشي عروقي..

لا يؤلم الجرح إلا من به الألم يا خال..

مهند/ ليس الأمر كما تقول..

فالصغار واليافعون عاطفيون، يدغدغ مشاعرهم أيُّ موقف، أما نحن الرجال فنميل إلى العقل أكثر، ألا ترى أن الصبي يبكي أمه بحرقة إذا ماتت والرجل يبكيها بكاء باردًا..

إنها دورة الحياة يا صابر لا يمكن أن نتحكم بها..

صابر/ لكني آمل..

مهند/ دع عنك هذا..

كفى كلام لا يجدي نفعًا

ويجب أن تنسى ما تتعب فيه نفسك

(ألا انهض وسر في سبيل الحياة*فمن نام لم تنتظره الحياة)**

صابر/ لكني أسير دون توقف..

مهند/ نعم، إنك تسير على وهم..

صابر/ قد أصادف يومًا ما أن أجد والدي، حينها ستتراجع عن قولك وهم..

مهند/ لا يوجد شيء اسمه مصادفات، هناك نظام محكم نسير وفقه..

صابر/ لكنْ لنا إرادة..

مهند/ ليس في كل شيء..

إن بقيت على ما أنت عليه فإن صفحاتك ستنتهي دون أن تملأها..

وإن مما قاله القدماء: (الماضي تاريخ، واليوم هبة، وغدًا لغز)..

لذا عليك أن تستغل الهبة وإلا صارت تاريخًا لا يمكن أن ترجعه مهما فعلت..

صابر/ ألا يمكنني أن أرجع الزمن إذا ملكت شريحته؟!!

مهند/ بلى، لكن لا يمكن للمخلوق أن يملك شريحةً هو خاضع لها، إن شريحة الزمن لا يملكها إلا الله، لأن الله لا يخضع للزمن..

يا صابر لا تحاول بعد اليوم أن تلهث خلف عُمرٍ قضى..

أو أن تبحث عن شيء هو جزء من الماضي حتى لو ظننت أنه يتصل بالحاضر، واترك الأمور تسير، فإنها لن تسير إلا على أفضل ما يكون بإذن الله في أحسن الحالات التي يمكن أن تكون عليها في الوقت الذي كانت فيه..

صابر/ لكن...

مهند/ من غير أن تعترض، أرجوك.. قل سأفعل،، هيا.. عدني بذلك..

صابر محدقًا في مهند/ إني أحبك يا خال..

(يتعانقان، ويقبِّل مهند رأس صابر)..

صابر/ أهذا ما تراه؟

إذًا سأذهب إلى أمي الآن، وثق أني لن أخيِّب رجاءك...

المشهد الرابع

(يدخل صابر المنزل، وأمه تعد الطعام)..

صابر/ جئت في الوقت المناسب، إنني أشعر بالجوع..

درة/ بعد قليل سيكون الطعام جاهزًا.

صابر/ أماه... هل تظنين أني سأجد أبي..

درة/ أبوك قد قتل يا ولدي، وأي محاولة للبحث عنه هي من طلب المستحيل..

صابر/ لكنني آمل أن ألقاه، والتفاؤل يملأ قلبي العليل..

درة/ قد يتفاءل المرء بما يحلم به..

صابر/ لكن الحلم قد يتحقق يا أماه..

درة/ وقد لا يتحقق، ومن العبث أن يسعى المرء وراء أحلامه..

صابر/ حلمي ليس مستحيلًا، وطلب الممكن ليس عبثًا..

درة/ أحيانًا يضيع الإنسان حياته ليحقق حلمه ولا يحققه، فيندم على ما أضاع..

صابر/ حتى يا أمي لو أضعتُ عمري في البحث عن أبٍ قد لا يكون حيًّا فإنني لن أندم، لأنني سأقول دائمًا: إنني أضعتُ عمري في البحث عن أبي، وهذا خير ممن يضيع عمره في البحث عن لا شيء..

درة/ لا شيء!! وكيف يبحث الإنسان في اللاشيء؟

صابر/ إن البحث في أشياء لا قيمة لها هو بحث في اللاشيء..

إن الذي يسعي وراء شهوة لا تدوم إلا لحظات يسعى في اللاشيء..

إن الذي يقضي عمره في شرب الخمور والزنا والفجور يقضي عمره في اللاشيء، لأن كل ذلك لا قيمة له يذكرها الناس، إنما أثره لا يجاوز صاحبه من حسرة في القلب وخوف من العاقبة..

إن أولئك يا أماه السكارى اليقظة..

إنهم الغرقى في بحار الأشياء اللاأشياء..

قد تعلقوا بأوهن العُرى التي حسبوا فيها قمة السعد لأجل ضحكة صنعتها على شفاههم، أو لقمة هانئة أوجدتها لهم..

حتى إذا انجلت أمواج السراب، وتكوَّنت المزن التي تنذر الرائي بصورتها التراكمية وبصوت رعودها الأزيز بِشْرًا أو

عذابًا، سألوا عن حالهم إذ علموا أن النهاية في لفظ السحاب، فلم يمهلهم السحاب ما أرادوا حتى صبَّ مكنونه ليثير الحقائق التي كانت واضحة للجميع من قبل..

فيسعد بتلك الحقائق من علمها، ويشقى بها من آثر السباحة في بحر اللاشيء عليها...

درة/ إنك تتكلم بما هو أكبر منك يا فتى..

صابر/ ليس للكلام عمر معين، فالكلام للجميع، المهم أن يفهم المرء ما يقول، وهناك رجال يشيخون ولا يفهمون كل ما يقال..

(يدخل عليهما مهند)

مهند/ لكما مني تحية محبة، عما تتحدثان؟

درة/ كنا نتحدث عن عماد..

مهند/ أما زال مصرًا على البحث عن أبيه؟

صابر/ أجل، ولن أملَّ..

مهند/ لكنك قضيت زمنًا ولم تصل إلى أي شيء..

صابر/ عدم الوصول إلى الشيء لا يعني عدم وجوده..

مهند/ لكنك تبحث عن شيء قد لا يكون يا فتى..

صابر/ وقد يكون!!

مهند (مبتسمًا)/ أنا أتمنى أن تهتم بدراستك أكثر من اهتمامك بهذا..

درة/ دائمًا آمره بالاجتهاد في الدراسة لكنه..

صابر/ ودائمًا أعدك بذلك.. إنني مهتم بدروسي يا أمي لا تقلقي..

درة/ أتمنى لك النجاح..

صابر/ بل التفوق بإذن الله..

مهند/ لا تقلقي يا درة على صابر، فهو مجتهد..

صابر/ شكرًا يا خال..

مهند/ لكنه عنيد..

صابر (مبتسمًا)/ ماذا سأفعل؟!! لعلَّ هذا ما ورثتُه من والدي..

مهند (مبتسمًا)/ أيُّها الشقي المراوغ..

(أحد ما يطرق الباب)

مهند/ من الطارق؟

الطارق/ أنا معتصم..

صابر/ آه، إنه معتصم صديقي، سأذهب إليه..

(يذهب صابر إلى الباب)

مهند لدرة/ إن صابرًا رجل يعتمد عليه، بارك الله لك فيه..

درة/ كذلك كان أبوه..

مهند/ آمل أن يجد ما يحلم به مع أني لا أظن ذلك..

درة/ وكيف يجده وأنا تعرَّفتُ على هويته من ثيابه التي أبلسته إياها، ودفنته بيدي..

مهند/ قد يوجد من لبس مثل تلك الثياب..

درة/ لا أظن ذلك.. لكن الأيام ستبدي لنا ما نجهله يومًا ما..

الفصل الثاني

المشهد الأول

(درة على فراشها، يدخل عليها صابر)..

صابر/ عافاك الله يا أمي..

درة/ أشعر بألم في جسدي لا يحتمل..

صابر/ إذًا، من الواجب أن نذهب إلى الطبيب..

درة/ لا داعي لذلك، سأشعر بتحسن بإذن الله..

صابر/ بل يجب أن نذهب..

درة (باكية)/ صابر يا ولدي.. يبدو لي أني لن أقوم من هذا المرض..

صابر/ لا تقولي هذا يا أمي..

درة (بصوت متهدج)/ صابر ولدي..

أريدك أن تبقى رجلًا مهما اشتدت عليك المحن..

أن تحفظ العهد وإن قلبت لك الأيام ظهر المجن..

أن تصمد في وجه التحديات ولو بلغ الجهد منك الجهد..،

فالحياة لا تركن للضعفاء..

والعلو لا يسعى تحت أقدام الجبناء..

يا ولدي، قلوبنا جبانة، أما تراها كيف تخفق إذا ما أدركت أنها على شفا علو.. وليس لك حتى تبقى صامدا على ذاك الشفا إلا أن تهدِّئ روعها، وأن تهمس في داخلك أنْ كل شيء يسير كما ينبغي له أن يسير.. فالأمور على أفضل حال في أحسن الظروف التي يمكن أن تكون لها في الوقت الذي كانت فيه.. تذكر هذا..

(يمسك صابر بكف أمه ويقبلها باكيا)..

صابر/ أمي.. سأكون أفضل مما تظنين بإذن الله..

درة/ أجل، لكنك في يوم من الأيام ستصحو دون أن تجد أمك..

صابر/ أدامك الله لي يا أمي، تفاءلي خيرًا..

درة/ التفاؤل لا يمنع القدر يا ولدي..

لستُ إلا نسمة من النسمات التي تمر ولا تعود..

لستُ إلا لبنة في بناء الحياة..

وكما مضى ركب السابقين فسيمضي الباقون..

سمَّيتُك صابرًا لتصبر..

فاصبر إذا لم تسمع صوتي يومًا ما..

(ينقطع صوتها من البكاء ثم تكمل كلامها)..

واصبر إذا لم تحتمل الصبر يا صابر...

فليس الصبر صبرًا إلا لأنه يبدو في أشد الشدائد..

صابر/ لكن يا أمي ستكونين بخير إن شاء الله..

درة/ أنت لا تشعر بما أشعر به..

صابر/ لكن الإنسان لا يدري متى يفارق..

درة/ لكل شيء إرهاصات..

صابر/ لا.. لا.. ما مرضك إلا وعك بسيط، لكن الضعف يوهم الإنسان ما لا يعتقده حال قوته، ويجعله يرى السراب ماء، لا تقلقي، وسنذهب إلى الطبيب لأثبت لك ذلك...

(يستدعي صابر جاره السائق ليوصلهما إلى المستشفى)..

المشهد الثاني

(صابر ومهند عند باب الغرفة في المستشفى، ودرة على السرير، يتقدم الطبيب نحوهما بعد أن تفحص حالة درة الصحية)..

الطبيب/ أين ولي أمر درة؟

مهند/ أنا أخوها وهذا ابنها، هل هناك ما يدعو إلى القلق أيها الطبيب؟!!

الطبيب/ في الحقيقة سيكون الأمر على ما يرام!!

مهند/ وكيف سيكون؟!

الطبيب/ سيكون على أحسن ما يكون لو رضيتما بما سيكون..

مهند/ الرضا كامن فينا فلا تقلق..

صابر/ أجل أيها الطبيب، فقد رأينا من المصائب ما يجعلنا لا نستعظم مصيبة..

الطبيب/ ما الذي يمكن أن يراه شاب صغير مثلك؟!!

صابر/ قد يرى الصغير في سنيه القليلة ما لم يره الشيوخ أيها السيد..

الطبيب/ إذًا.. اسمعا ما سأقول،،

إن درة عافاكم الله مصابة بمرض فاتك...

مهند وصابر معًا/ فاتك!!!

الطبيب/ أجل، وعليها أن تخضع لعملية جراحية..

مهند/ لكن هل من الممكن أن تتعافى؟

الطبيب/ من الممكن لكن..

صابر/ لكن ماذا؟!!

الطبيب/ لكن قد تُوْدِي بها العملية إلى الموت نظرًا لخطورتها..

صابر/ الموت!!

مهند/ قلت الموت!

الطبيب/ أجل، وما الذي يدهشكما؟ إن الآجال مسماة..

صابر/ يا إلهي.. إنها لمصيبة تفوق كل المصائب والحمد لله..

مهند/ وإن لم تخضع لعملية جراحية!!

الطبيب/ أيضًا ستكون في دائرة الخطر الشديد الذي سيودى بها إلى الموت المحقق..

مهند/ إذًا فلنسرع..

المشهد الثالث الأخير

(درة داخل غرفة في المستشفي بعد إجراء العملية، وصابر ومهند ينظران إلى الأطباء حولها من خلال نافذة زجاجية)..

صابر/ يا رب.. يا إلهي..

مهند/ بإذن الله ستكون على أحسن حال، لكن لا تضطرب..

صابر/ في مثل هذا يضطرب الإنسان..

مهند/ إنك تحبها جدًا، أليس كذلك؟

صابر/ بلى، وكيف لي ألا أحبها وقد أضاعت عمرها في سبيل إسعادي..

ألم تكن تستطيع أن تتزوج بعد أبي وتتركني وتسعد بما ترك لها من أموال..

لكنها آثرت ضنى العيش لأجل أن أبقى وفيًا لها..

يا خال، إن الذي لا يرحم البشر لا يرحمه الناس..

وأولى الناس بالرحمة الأم، فكيف إذا كانت الأم كأمي؟!

يا خال إن الذي يعق والديه يعقه أبناؤه، فحياة المرء مع والديه مرآة لحياة أبنائه معه، والأيام دول، والزمن سائر دون توقف، ومثل السابقين كمثل اللاحقين..

يا خال صور الحياة مكرورة على اختلاف الوجوه، فالشباب شباب والشيب شيب..

مهند/ أجل صدقت..

صابر/ والإنسان يشرب من الكأس التي يسقي بها غيره، خاصة العقوق فإنه معجَّل غير مؤجل، والوقائع شواهد..

مهند/ أحسنت قولًا وفعلًا يا مهند..

أسال الله أن تتعافى أمك..

صابر/ هذا رجائي..

(يحدق صابر من نافذة الغرفة مضطربًا، يرى الأطباء حول درة يتحدثون بتوتر، ثم يقوم أحد الأطباء بتغطية وجه درة بالملاءة)..

يضع صابر رأسه على الحائط صارخًا/ لااااا...

يا إلهي.. يا إلهي.. ارحمها يا إلهي..

مهند/ ماذا هناك؟!!

(صابر لا يستطيع الكلام من البكاء)..

(تخرج الممرضة من داخل الغرفة متوجهة نحو صابر ومجموعة من الأقارب)..

الممرضة/ للأسف حاولنا معها كل ما نستطيع لكنْ...

لكنَّ قدرها لم يكن الشفاء...

أسال الله لها الرحمة..

(يخيم صمت قاتل)..

ثم يتمتم مهند/ رحمها الله..

يربت مهند على كتف صابر/ لا بأس يا صابر.. لا بأس..

(يتعانقان وعيونهما تتكلم)..

ويهمهم صابر بصوت حزين باكٍ/

حان التفرق والزمان خدوعُ

والنفس جزعى والفتى موجوعُ

يا ويل قلبي قد تمزق قلبه

وتحرَّقت بين الضلوع ضلوعُ

نار الفراق متى تخفف نارها

والحادثات بدهرنا ينبوعُ

مهند/ إنا لله وإنا إليه راجعون، لا بأس عليك..

اصبر يا فتى، فالصبر شيمة الرجال..

صابر/ بعض الأحيان تتحطم قيود الرجولة يا خال..

لأن الإنسان ضعيف والأحداث قاهرة..

مهند/ مهما يكن فالرجل رجل..

صابر/ والبكاء لا يسلخ الإنسان من ذاته، ولا يعريه من رجولته، لأنه شيء من ذات الإنسان..

(يتعانقان من جديد، ثم يتقدم نحوهما رجل متوسط القامة، قد قهر الشيب سواد رأسه، تزينه لحية خفيفة)..

الرجل (يربت بلطف على كتف صابر)/ هل أنت صابر بن درة أيها الشاب؟!!

صابر (يلتفت مستغربًا)/ أجل.. أنا صابر..

لكن..

من أنت يا سيدي؟!!

الرجل/ أنا عماد..

***